

ادوار سعيد

الجنون الأميركي

ادوار سعيد

في العشرين من يناير ١٩٨١ تم اطلاق سراح ٥٢ أميركيًا كانوا قد سجنوا في مقر السفارة الأمريكية في طهران لمدة ٤٤ يوماً وغادروا إيران نهائياً . وبعد عدة أيام وصلوا الولايات المتحدة فرحب بهم البلد بسعادة فائقة لرؤيتهم وقد عادوا . وأطلقت تسمية « عودة الرهينة » على أسبوع اعلامي حافل إثر هذه العودة . فقد تم بث تغطيات تلفزيونية حية استمرت لساعات وامتازت بالتطور واستشارة الشفقة بينما كان « العائدون » يقلون إلى الجزائر ثم إلى المانيا والى « وست بوينت » وواشنطن وأخيراً إلى مناطق سكنتهم . واحتفاء بهذه المناسبة قامت الصحف والمجلات الأمريكية باصدار ملاحق خاصة تراوحت في مستوى اهتمام تحليلية وذات اطلاع واسع على حيثيات الاتفاق النهائي الذي توصلت اليه إيران والولايات المتحدة ، الى تمجيدية بروح البطولة الأمريكية وتعنيفة بالهمجية الإيرانية . وفي ثنایا هذين الموقفين ظهرت قصص عن معاناة المحتجزين بالأسلوب متألق اعتمدته صحافيون متخصصون للإشارة الى ان عدداً غير امن علماء النفس يتشوّدون لتقسيم ما تعرض له الرهائن في الواقع . وشعبت النقاشات وتطرقت الى شؤون الماضي والمستقبل فكانت حادثة الاحتجاز هي الحد الفاصل الذي اعتمده الحكومة الأمريكية في الأخذ بأبعاد تلك الشؤون . تركز التحليل الأخذ بواقع الماضي حول عما اذا كان يتوجب على الولايات المتحدة أن تبرم اتفاقية مع إيران . في ٢١ يناير هاجمت « النيويوركى » New Republic « الفدية » وحكومة كarter لأنزعانها لطالب الإرهابيين ، ثم أن الصحيفة أنحت باللائمة على مجمل قضية المناوشات القانونية للتعامل مع المطالب الإيرانية ، وعلى اللجوء إلى الوساطة التي قامت بها الجزائر التي « تشتهر باليوانها الإرهابيين وتمنحهم الفسخ التي يحصلون عليها » . أما النقاش المتعلق بشؤون المستقبل فقد انحصر في الحرب التي أعلنتها حكومة ريفان ضد الإرهاب : هذه القضية انن ، وليس قضية حقوق الإنسان ، سوف تتحل مركز الصدارة في

دراسات

السياسة الأميركيّة ، وحتى لوتطلب ذلك دعم « الأنظمة القمعيّة المعتدلة » اذا ما كانت هذه الأنظمة حليفة للولايات المتحدة .

وعلى نهج مماثل أشار بيتر ستيفورات في صحيفة « كريستشن ساينس مونيتور » Christian Science Monitor الصادرة يوم ٢٩ كانون الثاني (يناير) الى انه من المتوقع ان تشتمل محاضر جلسات الكونغرس على « الفصول المتعلقة باتفاقية اطلاق الرهائن ... معاملة الرهائن ... قضايا الامن في السفارات ، اضافة الى قضية ولدت بعد تمعن ، الا وهي مستقبل العلاقات الأميركيّة – الإيرانية » . وعلى نحو مشابه لضيق افق نوعية القضايا التي كشفت عنها وسائل الاعلام الأميركيّة في مراحل الازمة (مع استثناءات قليلة) فانه لم يتوفّر أي تبصر فيما كان يعنيه التملّم الأميركي وما سيتمخض عنه في المستقبل وما يمكن الاستفادة منه . قالت صحيفة « صنداي تايمز Sunday Times » في عددها الصادر يوم ٢٦ كانون الثاني (يناير) بأن الرئيس كارتر نصّح وزارة اللتنية في عددها الصادر يوم ٢٦ كانون الثاني (يناير) قبل مغادرته الحكم بـ « تركيز الاهتمام العام باتجاه خلق موجة من الخارجية الأميركيّة قبل مغادرته الحكم . ويغضّ النظر عما اذا كان هذا الكلام صحيحاً أم لا ، الا انه الاستيءضاد الإيرانيين » . ويغضّ النظر عما اذا كان هذا الكلام صحيحاً أم لا ، الا انه يبيّن معيولاً طالما انه لم يلتفت اي مسؤول حكومي ، اللهم سوى بضعة معلقين و صحافيين ، الى إعادة النظر في التاريخ الأميركي الطويل من التدخل في شؤون ايران ومناطق أخرى من العالم الإسلامي . ثم كثُر الحديث عن ضرورة تمركز قوات عسكرية في الشرق الأوسط : وبصورة مفاجئة للواقع . فحين عقد مؤتمر القمة الإسلامي في الطائف تجنبت وسائل الاعلام الأميركيّة نكره .

لقد توأمت زمنيا الدعوة الى إنزال القصاص والتأكيدات الجازمة باستعمال القوة الأميركيّة مع بث معزوفة مفصلة عن تجربة الرهائن وعودتهم منتصرين . وتحول الرهائن رأسا الى ابطال (مما أثار حفيظة عدة محاربين قدامى ومجموعات من أسرى الحرب السابقين) ورموز للحرية ، فتغير حال الأسرى الى بهائم لا تتمكنها عاطفة انسانية . أما صحيفة « نيويورك تايمز New York Times » فقد علقت في افتتاحيتها يوم ٢٢ كانون الثاني (يناير) قائلة: لتكن السّؤال التالي في عددها يوم ٢٨ يناير : « ما كان الا أن الصحيفة ، وبعد تفكير ، طرحت السّؤال التالي في عددها يوم ٢٨ يناير : « ما كان المفروض القيام به ؟ أكان نصف المراقيء ام إنزال رجال البحرية أم اسقاط بعض القنابل ممكناً أن يرهب عدواً متفهماً . لكن ، هل كانت ایران - وهل هي الان - متقدمة ؟ . أما فرد هاليداي ، فقد أشار في صحيفة « لوس انجليلس تايمز Los Angeles Times » يوم

ادارسله يد

٢٥ كانون الثاني (يناير) الى ان هناك مواضيع كثيرة في ايران يمكن توجيه النقد اليها ، فالذين والماثوري المتقدبر هنا عن عدم قدرتهم على توفير الجو الملائم لنشؤولة حديثة تتولى اتخاذ القرارات اليومية لما فيه فائدة الشعب باكمله . فعل الصعيد الدولي كانت ايران معزولة الا انها كانت غير ممحونة تجاه التدخلات الخارجية . وعلى هذا القدر من الوضوح كانت معاملة الطلاب الايرانيين للسجناء في السفارة ، فهم لم يكونوا لطفاء معهم . حتى ان ٥٢ سجيننا أنفسهم لم يذهبوا الى القول بأنهم قد عذبوا و تعرضوا لعمليات وحشية منظمة : يظهر هذا جليا في شهاداتهم اثناء عقدهم مؤتمرا صحافيا في « وست بوينت » (انظر « نيويورك تايمز » New York Times ، ٢٨ كانون الثاني (يناير)) ، حيث اشارت اليزابيت سويفت الى التحرير الذي اورنته مجلة « نيوزويك » News week لما قالته ، فاعتبرت سويفت ان المجلة اختلت قصة التعنيف (التي تناقلتها وسائل الاعلام بشكل مضموم) والتي لا تمت الى الواقع بصلة .

لقد أحدثت « عودة الرهنية » قفزة رهيبة ، في وسائل الاعلام ، والرأي العام بشكل اوسع ، انطلقت من تجربة خاصة محزنة وطويلة في عذابها الى تعليمات ضخمة تناولت ایران والاسلام . ومرة ثانية تقول ان البواعث السياسية التجريبية تاريخية معقدة قد طمسـت وغابت عن الانهـان . ونعود الى حيث بدأنا . فقد اعتبر بوب انجـل في « اتلانتـا كونـستـيـتيـشن » Atlanta Constitution يوم ٢٢ كانـونـ الثانيـ (يناـيرـ) ان ایرانـ قد تحولـتـ الى موئـل لرجالـ الدينـ المهووسـينـ ، أما كلـيرـ ستـرـلينـغـ فـانـهـ اشارـتـ فيـ مـقـالـتهاـ فيـ صـحـيفـةـ « واـشنـطنـ بوـسـتـ » Washington Post (٢٢ كانـونـ الثانيـ (يناـيرـ)) الى ان قضـيةـ الرـهـانـ لـيـسـتـ سـوـيـ مرـحلـةـ منـ « عـهـدـ الرـعـبـ الـاـولـ » ، الذـيـ بدـأـ الـارـهـابـيوـنـ ضدـ الحـضـارـةـ . وـعـلـىـ الصـفـحةـ نـفـسـهـاـ منـ الـبـوـسـتـ قالـ بـيلـ غـرـينـ انـ الـبـذـاءـةـ الـاـیـرانـیـةـ تـقـوـيـ نـفـةـ الـاحـتمـالـاتـ بـانـ تـتـحـولـ حـرـيـةـ الصـحـافـةـ » ، الذـيـ تـعـرـضـ الـوقـائـعـ الـاـخـبـارـيـةـ عـنـ اـیرـانـ الـسـلاحـ مـوجـهـ تـعـاماـ الىـ قـلـبـ الـوـطـنـیـ الـامـرـیـکـیـ وـمـبـاهـاتـهـاـ بـنـفـسـهـاـ . الاـنـ هـذـاـ المـزـيـجـ الـرـائـعـ القـائـمـ عـلـىـ الثـقـةـ وـعـدـمـ الـاطـمـئـنـانـ يـتـقـلـصـ بـعـدـ قـلـيلـ حـينـ يـتـسـاعـلـ غـرـينـ عـماـ اـذـاـ كـانـتـ الصـحـافـةـ قـدـ « سـاعـدـتـنـاـ » عـلـىـ انـ تـفـهـمـ « الثـورـةـ الـاـیـرانـیـةـ » ، وـهـذـاـ سـؤـالـ يـجـبـ عـلـيـهـ بـوـضـوحـ مـارـتنـ كـونـدرـاكـ فيـ « وـولـ ستـرـيتـ جـوـرـنـالـ » Wall Street Journal (٢٩ كانـونـ الثانيـ (يناـيرـ)) حـينـ قالـ بـانـ التـلـفـيـزـيونـ الـامـرـیـکـیـ ، وـفـيـمـاـ عـادـ اـسـتـثـنـاءـاتـ نـاـيرـةـ ، « قـدـ عـالـجـ الـازـمـةـ الـاـیـرانـیـةـ عـلـىـ اـسـاسـ انـهـ اـسـتـعـارـضـ سـخـيفـ يـظـهـرـ فـيـهـ ماـ هـبـ وـبـ مـنـ التـشـنجـ » . وـعـلـىـ النـقـيـضـ مـنـ نـلـكـ فـقـدـ اـدـرـكـ بـعـضـ الصـحـافـيـنـ جـوـهـرـ المشـكـلةـ ، فـأـقـرـ هـدـ سـ .

دراسات

غرينواي في « البوسطن غلوب » Boston Globe (٢١ كانون الثاني / يناير) بأن « الاهتمام الأميركي الفائق بأزمة الرهائن وعدم الالتفات الى القضايا الملحّة الأخرى قد الحق خسارة عظيمة بالصالح الأميركيية ». وقد توصل الكاتب الى استنتاج واضح : ان التغيرات دائمة وهي امر واقع وان الحكومة الأميركيّة الجديدة سوف تتوجه الى معالجة شؤون القوى في نهاية القرن العشرين ». في اليوم نفسه كتب ستيفن ارنجر في « الغلوب » Glope فامتدح كارتر لحله الأزمة وبالتالي لأنّه نجح في اضفاء صفة العقلنة على الأزمة والحد من طابعها العاطفي . في ٣١ كانون الثاني (يناير) انتقدت « النيو ريببلك » New Republic « هذا العالم المتزايد في تناقضه » ، ويكلّم آخر فانه من الأنسب معاملة ايران على اعتبار انها عنصر هدام في عملية اعادة بناء القوة الأميركيّة ومحاربة الشيوعية . والحقيقة ان هذا الخط العسكري في تفكيره قد ارتفع الى مصاف العقيدة الأميركيّة شبه الرسمية . فقد ادعى روبرت تكر في مقالته « اهداف القوة الأميركيّة » (فورين آفيرز Foreign Affairs ، شتاء ١٩٨٠ - ١٩٨١) انه يحاول التوصل الى خط توفيقي بين دعاء مبدائي « نهضة اميركا » و « عزلتها » . اما بالنسبة الى الخليج العربي وأميركا الجنوبيّة فان الكاتب يقترح سياسة صريحة تقضي بالتدخل المباشر طالما ان الولايات المتحدة ، على حد قوله ، لا تسمع بحدوث ايّة تغييرات في الوضاع الداخلية فيها او باتساع رقعة النفوذ السوفيّي هناك . وفي كلتا الحالتين فان الأميركيّة للولايات المتحدة في اتخاذ قرارها لتحديد نوعية التغييرات التي تسمع او لا تسمع بها . ويزامل هذا الموقف رأي بيشارد بايس ، من جامعة هارفرد الذي يشير على الحكومة الأميركيّة الجديدة باعادة تصنيف العالم الى معسكرين فحسب : الاول يشمل الدول المتعاطفة مع الشيوعية ، والثاني يشمل الدول المعادية للشيوعية .

ولئن كانت عودة الحرب الباردة تستدعي تصليباً جديداً ، الا انها قد أسهمت في ايقاظ الوهم الذاتي . وعليه فان معسكراً الاعداء يشمل كل من يطالب الغرب بالنظر في ماضيه ، ليس بدعوى الشعور بالذنب بقدر ما يعمّل بذلك على الوعي الذاتي : ولم يلتفت الى كل من نادى بذلك . وعلى المستوى الرمزي فقد بربّر مثال واضح على ذلك حين انعقد المؤتمر الصحافي في « وست بوينت » ، فقد اعتبر احد الحضور ان « حكومة الولايات المتحدة قد وصلت قمة النفاق اذ تتحدث عن عمليات التعنّف » ، لا سيما وان الولايات المتحدة قد حضرت على تعنيف الايرانيين ابان الحكم البهلوi . لم تكن قال بروس لينجن ، كبير الدبلوماسيين في السفارة الأميركيّة في إيران ، انه لم يسمع التعليق ، ثم انه انتقل بسرعة لمعالجة الموضوع

ادوار سعيد

نفسه والذي يمت بصلة الى الوحشية الايرانية والبراءة الاميركية .

ولم يصدر عن اي خبير او صحافي ذي شأن او موظف حكومي اي استفهام عما كان ليحدث لو ان جزءاً بسيطاً من الوقت الذي كرس لتفعيل عملية الاستيلاء غير الشرعي على السفارة وما جرى خلالها وعودة الرهائن كان قد خصص لاظهار اضطهاد ووحشية نظام الشاه السابق . ماحقيقة التحلل الذي أصاب الجهاز الضخم العامل على تجميع المعلومات بهدف اعطاء الرأي العام القلق صورة واضحة عما كان يجري في ايران ؟ وهل انحصرت الخيارات المتوفرة باثنين : اما بانكاء المشاعر الحماسية او بتزويد شحنة من الغضب الجماعي ضد ايران ؟

هذه أسئلة جدية نطرحها مع انتهاء هذه الحادثة المؤلمة والتي لقيت وبالغة قوية . انه من مصلحة الاميركيين وفائدتهم ، والغربيين بشكل عام ، ان يفطنوا الى الاوضاع المتغيرة في السياسة العالمية . هل من فائدة ترجى من اثاره موضوع « هل سينحصر الاسلام بالقيام بدور مصدر الحقد الارهابي ؟ » وهل تنصب اهتمامات الصحافة والابحاث على « من يتحمل المسؤولية في خسارة ايران ؟ » ، ام انه من الأنسب المناقشة والنظر في القضايا التي تلائم الوضع العالمي وتساهم في تطوره السلمي .

ان برنامج « المفاوضات السرية » له مثال جيد على مقدرة الصحافة في استخدام فطنتها ودرويتها وفي توفير المواد الاخبارية للرأي العام ، ففي هذا البرنامج ، الذي اعده تلفزيون « أي بي سي » ABC وعرضه يوم ٢٨ كانون الثاني (يناير) لمدة ثلاثة ساعات ، انصب الاهتمام على المعلومات غير المعروفة والتي اسهمت في التوصل نهائياً الى اطلاق سراح الرهائن . وقد ظهرت بين الحين والآخر مشاهد تعبّر عن مواقف لا واعية ونابعة من الاعماق ، كما ظهرت واضحاً عندما وصف كريستيان بورغيت اجتماعه مع جيمي كارتر في البيت الأبيض في آذار (مارس) ١٩٨١ ، وبورغيت محام فرنسي له صلات وثيقة مع الايرانيين ولذا فانه كان قد قام بدور الوساطة بين ايران والولايات المتحدة . وجاء الى واشنطن على الرغم من ان اتفاقاً ما جرى مع حكومة « بينما » لاعادة تسلیم الشاه ، لكن العاهل المخلوع كان قد غادر الى مصر بصورة مفاجئة . قال بورغيت مشيراً الى حدثه مع الرئيس كارتر :

« في حديثه عن الرهائن قال : انت تعلم انهم اميركيون . هم ابرياء . قلت له : نعم يا سيد الرئيس ، انا اعلم انك تقول عنهم ابرياء ، الا اني اعتقد بان عليك ان تفهم بانهم ليسوا ابرياء من وجهة نظر الايرانيين . وحتى لو ان احداً منهم لم يقترف جرما ، الا انهم

دراسات

ليسوا ابراء طالما انهم دبلوماسيون يمثلون دولة اساعت كثيرا الى ايران . عليك ان تفهم بان احتجازهم ليس موجها اليهم شخصيا ، وبالتأكيد فانك تعني ذلك . ولم يلحق بهم اذى . ولم تكن هناك اية محاولات لقتلهم . ان ما جرى له مدلوله الرمزي ، و اذا كان علينا ان ندرك ابعاد ما حدث فيتوجب اخذنا بالمعنى الرمزي » .

وعلى ما يبديه فان كارتر قد فهم عملية الاحتجاز ضمن دلائله الرمزية ، الا انه كان يأخذ بمحض الأمور عبر منظوره الخاص . فالأميركيون بالنسبة له ابراء في واقعهم وبالتالي فلا علاقة لهم بحركة التاريخ . وفي مناسبة اخرى علق الرئيس الأميركي على الشكاوى الإيرانية ضد الولايات المتحدة بأنها قد مضت بلا رجعة . المهم الآن هو ان الإيرانيين ارهابيون ، ولربما كانوا ادائما يمثلون امة تتضمن الارهاب ، والحق ان كل من اضمر السوء لاميركا وقام بالاحتجاز من يمثلها هو خطير ومهوس ، ولاصلة له بالمنطق او الانسانية او حتى اللياقة .

ان ما يسترعي الانتباه هو عدم قدرة كارتر على فهم العلاقة القائمة ما بين شعور الشعوب الاخرى والدعم الاميريكي للحكام المستبدین وبين ما كان يحدث للأميركيين المحتجزين بدون ذنب . وحتى لو أن احد اماما عارض عملية الاحتجاز وتملكه شعور الغبطة مع عودة الرهائن ، الا ان هناك عبر ا يجب ان تؤخذ حيال ما يظهر انه تناس رسما وعل المستوى الوطني لحقائق اكيدة . تشتمل كافة العلاقات بين الشعب والدول الاجنبية على طرف معاملة ، فليس هناك ما يجبرنا على الأخذ بذلك العلاقات او حتى المصانقة عليها ، لكنه من الضروري على الأقل ان نعترف بما يلي : (أ) ان هذه الدول قائمة . (ب) وفيما يتعلق بها ، فان حقيقتنا تكمن في وجودنا اضافة الى ما عرفته هذه الدول عنا من خلال تجاربها معنا . هذه القضية ليست مسألة براءة او ذنب ولا وطنية او خيانة . ولا يتوجب على فريق السيادة على دفة الأمور ان يلغى وجود الفريق الآخر . وبالطبع فاننا اذا لم نؤمن بهذا الواقع فاننا كأمريكيين نرى انفسنا ابراء اذا ما اعتبرنا الفريق الآخر منينا بطبيعة الحال .

واذا نحن اخذنا بعين الاعتبار ما اوريته الصحف عن البرقية السرية التي وجهها ببوس للينجن من طهران الى وزير الخارجية فانس يوم ١٣ آب (اغسطس) ١٩٧٩ لوجتنا ان فحواها على انسجام تام مع مواقف كارتر اثناء مناقشته مع بورغيت . قامت « نيويورك تايمز » بنشر نص البرقية يوم ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٨١ الى جانب افتتاحيتها ، وربما كان الهدف من نشرها اثاره السخرية مع انتهاء الازمة . ومع ان للينجن يدعي انتهاجه الموضوعية في فهمه للحضارة الإيرانية ، الا انه لا يقدم بحثا علميا في تعليقه على سمات النفسية الإيرانية ، لابل ان نص البرقية موقف عقائدي يهدف الى تصوير ايران على أنها امة دائمة الهياج ، وفي هذا يرمي للينجن الى اعلاء شأن الاميركيين اخلاقيا ونهجهم

أدوار لاري

السليم في المفاوضات ، وبدأ يتحول نص البرقية الى مجموعة توكييدات تهدف الى تشويه صورة ايران وتهفيت في الوقت نفسه الى حماية اميركا من النقد والتحليل .

ان هذا الاسلوب المضلل يعتمد على تهجين خطابيين يسترعيان التفحص . اولا ، فليس هناك من اشارة الى التاريخ الايراني : ان اثار الثورة الايرانية تعمل لخدمة المزايا الحضارية والنفسية الثابتة نسبيا والتي تنم عن حقيقة العقلية الايرانية . وعليه ، فان ايران الحديثة ليست سوى استمرارية لبلاد فارس . هذه مغالطة كبيرة ، والا فاننا نرد الشعوب الى اسلامها الفهم حداثتها ، فمثلا ننظر الى السود على انهم نجوج ، وهكذا . (لكم نرتاح الى رجل الشارع اكثر من ارتياحنا الى الدبلوماسي المذهب !) . ثانيا ، تظهر الشخصية الايرانية باطار الاوهام المتدولة عن حقيقتها . ويعري لاينجن الايرانيين من تجاربهم فيدعى بأنهم لم يختبروا العذاب والخيانة على حقيقتها ، ويجردهم من قدرتهم على معرفة حقيقة ما قامت به الولايات المتحدة في ايران . ولوتأملنا مليا لايرنكا ان لاينجن لم يقل ان الولايات المتحدة لم تتدخل في ايران ، لكنه يقول بان الولايات المتحدة حق القيام بما يرضيها ودون الالتفات الى تتمر او ردة فعل الشعب الايراني . كل ما يهم لاينجن هو ان العقلية الايرانية الثابتة تفوق اهمية كل الاعتبارات الاخرى .

ان اغلبية من يقرأون برقية لاينجن سوف يوافقون ، كما يؤمن هو في قراره نفسه ، بأنه لا يمكن تقليص احجام الشعوب والمجتمعات الى تلك البساطة التي تكرر فحوها جيلا بعد جيل . نحن لا نسمع اليوم بان تكون معاملة السود واليهود على هذا المستوى ، كما اننا ، بالنهج نفسه ، نهزأ من تشبيه الايرانيين لاميركا على أنها الشيطان الرجيم . ان هذا الاسلوب نومضيون عنصري ، فالتقليص المقصود هذا يخدم مارتن بيريتس الذي يبرز نصا عنصريا (في « النيوريببلك » New Republic ، ٧ شباط / فبراير ١٩٨١) لكاتب انكليزي عاش في القرن السابع عشر كتب عن « الاتراك » ، فيعتبره بيريتس وثيقة هامة يتوجب تقريرها على الطلاب الدارسين لحضارة الشرق الأوسط . يتعجب القارئ من الهدف المقصود لابزار وثائق مشابهة لوثيقة لاينجن . لا تضيف هذه الوثائق معلومات جديدة عن الاسلام وايران ، كما وانها لا تساعد على فهم ما قام به الغرب هناك لا سيما وان العلاقات الاميركية – الايرانية قد وصلت الى ما هي عليه بعد الثورة الايرانية .

يؤمن لاينجن بأنه مهما يكن من أمر فان هناك ميلا ايرانيا الى مقاومة عملية المفاوضات المتسعة بالعقلانية (من وجهة النظر الغربية) . نحن نستطيع ان نكون عقلانيين ، اما الايرانيون فلا . لماذا ؟ يرى لاينجن ان الايرانيين يمتازون بذاته ، ولأنهم في حقيقتهم حاقدون ، وتحكم بهم « عقلية السوق » الramatic الى الربح السريع بدل

دراسات

الربح الطويل الامد ، كما ان الله يجعلهم غير قادرين على استيعاب مبدأ السببية ، وبالنسبة اليهم فان الواقع واساليب التعبير عنه لا يتوافقان . ويأيضاً ، فان العبر الخمس التي توصل اليها لا ينجذب في تحليله تدل على ان ايران مفاوض لا يمكن اليه طالما انه لا يحترم الطرف الآخر ولا يكن له نية صافية ، كما انه لا يلتزم بالعهود التي يقطعها على نفسه .

ان فحوى هذه المقوله المتواضعة ، فيما تنسبه الى الايرانيين المسلمين ، وبينون ايراد البراهين القاطعة ، ينطبق أيضاً على « الامريكي » الذي يقدم المقوله نفسها . فمن غير « الامريكي » ينكر التاريخ والواقع في ادعائه انهم لا يمثلان شيئاً للايراني ؟ اما الان فالتي قوانين هذه اللعبة : حاول ان تجد ضمن العرف اليهودي - المسيحي خصائص اجتماعية وثقافية تعامل ما يدعوه لاینجذب بالنسبة الى الانسان « الفارسي » ؟ الانانية الفانقة ؟ كما عذر وسو الواقع الحاقد ؟ كما عند كافكا . مشينة الله ؟ كما في العهدين القديم والجديد . غياب العلاقة السببية ؟ كما عند بيكيت . العقلية السوقية ؟ كما في بورصة نيويورك . الخطبين التعبيري والواقع ؟ كما عند اوستن وسيك . لكن عدداً قليلاً من الناس يلجأ الى رسم معالم الغرب بالرجوع فقط الى كريستوفر لاسشن في حديثه عن النرجسية ، او الى موعظة رجل دين ، او الى محاجرة « كريتيوس » لفلاطون ، او الى اغنية اعلان تجاري ، او يلجأ الى كتاب التحولات « لا فيدي مشفعتاً بآيات مختارة من لفيتيكوس في محاولة تبريره عدم قدرة الغرب في الاعتقاد او بثبات او افضلية واقع ما .

ان رسالة لاینجذب هي المعائلة التي تنجذب رسم معالم تلك الصورة . وفي افضل حالاتها فان الصورة تلك ليست الا تشويهاً للواقع ، وهي غير كافية لاي تحليل نفسي ، طالما انها تتم عن ضعف كاتبها وليس عن ضعف اعدائه ، فهو يظهر حانقاً لكثرهم ولأنه لا يقوى على رؤية الآخرين سوى انعكاس في مرآة نفسه . أين تكمن قدرته على فهم وجهة النظر الايرانية او الثورة الاسلامية نفسها التي تمثل نتيجة منطقية للعبوبية الايرانية المطلقة وضرورة قلبها ؟

ولو أننا أردنا الاشارة الى النية الصافية والايمان بالعقلانية اثناء سير المفاوضات لتوفر لدينا الكثير من النقاش المتعلق بمحاولة انقلاب الجيش التي ساندتها الجنرال الاميركي هايسير في اواخر يناير من ١٩٧٩ ، هذا اذا نحن استثنينا احداث ١٩٥٣ . وقد ارتأت مصارف اميريكية عديدة (عرف عنها بالخروج عن القوانين ارضاء للشاه) خلال ١٩٧٩ ان تتجأ الى الغاء القروض المنوحة الى ايران في العام ١٩٧٧ بسبب ان ايران لم تدفع الفوائد المرتبطة عليها في الوقت المحدد . وكان إريك رولو ، من صحيفة « لوموند Le Monde قد اشار في ٢٥ - ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) الى انه كان قد شاهد براهين تؤكد على ان ايران قد دفعت الفوائد قبل استحقاقها . لا عجب ان يفترض الايراني عداء في

ادوار سعید

خصمه ، فهو ايضاً خصم في وجهه ، ولا يرتاح اليه : هذا ما يقوله للينجن بوضوح .
 لنسلم جدلاً بأن المطلوب ليس الاعتدال وإنما الدقة . يقوم المواطن الاميركي حالياً
 ببساطة النصيحة الى واشنطن . لكن ، ما هي مصادره ومراجعه ؟ حفنة من شعارات
 الحركة الاستشرافية المأخوذة بحذافيرها من وصف الفرد ليال للعقلية الشرقية ، او من
 منكرات اللورد كروم عن تعامله مع مواطني مصر . وبالنسبة الى ما يقول للينجن ، لماذا
 يعارض ابراهيم يازدي ، وزير الخارجية الإيرانية ، انن المبدأ القائل بأن
 للتصرفات الإيرانية نتائج تعكس صورة ايران في الذهن الاميركي ، وصانع القرار الاميركي
 يرضي سلفاً بان للتصرفات الاميركية نتائج تعكس صورة اميركا في الذهن الايراني ؟ ولماذا
 وافق الاميركيون على مجيء الشاه اليهم ؟ السنا أشبه بالايرانيين حين نتهرب من تحمل
 مسؤولية ما نقوم به ؟

ان برقية للينجن حقيقة عدم الاطلاع الكافي وهي لا تضفي الا التزير القليل الى فهم
 الشخص للمجتمعات الأخرى ، كما انها لا تشحد العزيمة في مواجهة العالم ووعيه ،
 وبصراحة ، فان هذه البرقية مهينة للفرد الاميركي في اعماله . ما الغرض منها انن ؟ إنها
 تخبرنا كيف يعمل ممثلو الولايات المتحدة ويؤازرهم في تلك قسم كبير من الحركة
 الاستشرافية في خلق واقع مغاير لواقعنا وواقع الايرانيين . ولأن البرقية لا تشير علينا
 بضرورة نبذ هذه المقولات الخاطئة ، والى الابد ، فان الاميركيين سيواجهون مشكلات
 دولية ، وساعتها ، وللأسف ، فانه سوف تتعthen براعتهم وبدون هدف .

اذا سلمنا بان العلاقات الإيرانية – الاميركية قد تعرضت الى عداوات مضنية وان
 الاحتلال السفارية كان تليلاً على دخول ايران معممة من الفوضى غير المنشورة ، الا انه من
 الضروري البحث عن حقيقة ما جرى مؤخراً . فالحقيقة ان هناك تغيراً حاصلاً في الاسلام
 كما ان هناك تغييراً حاصلاً في الغرب ، ومع ان سرعة تقديم كل
 منها تختلف ومع ان اسلوب كل منها يختلف ، الا ان بعض المحاذير
 والشكوك متشابهة . وكما ان الحملات الناخبية تدعومواطنينا ، فان الاسلام والغرب
 (اي اميركا) يوفران بواحد تحريض اكثر من توفيرها رؤيا واضحة تتيير مجرى الامور .
 وكما ان ربتي فعل متساویتان في القوة ومتعاکستان في الاتجاه تذعنان الى مبدأ تبدل الواقع
 وتغير المجريات ، فان الاسلام والغرب يقران على اضفاء الجيل على التحليل ، وعلى طمس
 التجربة باللوم .

في الوقت الحاضر نحن في أمس الحاجة الى اهداف اهم بكثير من المخاصة والمواجهة
 وهي اهداف سهلة التحقیق : الاحترام الكلي للتجربة الانسانية ومعاناتها ، الفهم

دراسات

الحاصل عن الأخذ بالنظر الى الطرف الآخر بحنو وتقدير ، المعرفة المكتسبة والمصقوله عبر الامانة الخالية والعلمية ويستحسن ان نعمل على التخلص من بقایا العداوة والخذل والتجوء الى اطلاق التسميات على شاكلة « المسلم » او « الفارسي » او « التركي » او « العربي » او « الغربي » .

(نقله الى العربية : محمود شريح)